

## مرجعيات الفكر التداولي عند يورغن هابرماس قراءة نقدية في نظرية الفعل التواصلية

أ.نبيل محمد صغير  
جامعة تيزي وزو

### مقدمة:

نسعى من خلال هذا البحث إلى تتبع ملامح وأبعاد الفهم الهابرماسي للتداولية الكونية (الشمولية) التي طبعت مشروعه الفكري والفلسفي، وحتى السياسي. ويشغل هذا التتبع وفق عمليات مقارنة وتأسيس للأطروحات التداولية- التي رسخ معالمها كل من: (ج.ل. أوستين J.L. Austin ، و ج.ر. سيرل J.R. Searle ، وبول غرايس Paul Grise)- والمقولات النقدية التي استعملها هابرماس في مشروعه السياسي ذي البعد الكوني. هذا كله من خلال الإشارة والإحالة إلى من سبقه في ميدان فلسفة التواصل عموماً، والتداولية على وجه أخص، هذا الميدان الذي يُعنى في أساسه، بدراسة استعمال اللغة لدى منتجيها، واستراتيجيات تأويلها من طرف المتلقي عبر عمليات استدلالية ومنطقية تخضع للخلفيات الاجتماعية والمعرفية والثقافية للمستعملين.

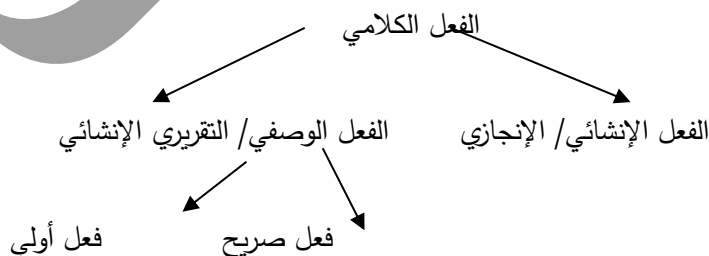
لا يأتي حديثنا عن الأطروحات التداولية عند أوستين، وسيرل، وغرايس لمجرد السرد والتعريف بها بل من أجل الكشف عن كيفية وآليات تسربها إلى الطرح التداولي الهابرماسي، وبالأخص في مشروعه السياسي الكوني، الذي حاول من خلاله تصحيح الحداثة الغربية الغربية التي باءت بالفشل باعتباره نفسه، لسبب أساسي، وهو انعدام التواصل بين الذات الإنسانية، على الرغم من الآليات المعلوماتية التي صُنعت وهُيئت لهذا الغرض تحديداً. كل هذه المقارنات والتأصيلات تأتي في سياق تقديم قراءة نقدية للتداولية الكونية عند هابرماس عموماً ونظرية الفعل التواصلية على وجه الخصوص من أجل الكشف عن كيفية اشتغال التداولية كوسيلة تواصل مدعّمة الآليات المعلوماتية والتكنولوجية.

لعل أهم مقولة تداولية تظهر عند هابرماس هي تأكيده في مقاله الشهير (What is universal pragmatic) على أن عملية دراسة الخطاب في المجتمع وبين المجتمعات والذوات المختلفة لا تتم عبر دراسة الجمل، من مستوياته البنيوية المعروفة (الصوتية، الصرفية، والنحوية والدلالية)، بل يجب أن يحدث تحول إلى مستوى آخر، هو المستوى التداولي الذي لا يكتفي بدراسة الجمل من حيث صحتها أو خطئها، وإنما في معناها ومدلولها ضمن الاستعمال والتداول اليومي، أي الانتقال من دراسة الكفاءة اللغوية<sup>1</sup> (Compétence linguistique)، إلى الكفاءة التواصلية (Compétence pragmatique) الذي طوره هابرماس<sup>2</sup>. وفيما يلي سنحاول أن نتتبع بنوع من الدقة معالم التأثير بالفكر التداولي لدى كل من أوستين و سيرل وغرايس.

1- بين هابرماس و أوستين: يمكن حصر الأطروحة التداولية لأوستين في ثلاثة نقاط أساس، وهي<sup>3</sup>:

- 1- رفضه المسلمة البنيوية القائلة أن اللغة بناء مغلق على ذاته يجب دراسته داخلياً بمعزل عن كل سياق خارجي.
- 2- رفضه الثنائية القائلة بصدق القضية من خطئها، واستبداله بإياها بتحقيق الفعل ونجاحه من فشله وعد نجاحه.
- 3- اعتباره أن كل قول/كلام هو عبارة عن عمل/فعل.

ومن خلال هذا العنصر الثالث بنى أوستين نظريته في الأفعال الكلامية، فقسم الأفعال الكلامية كما هو وارد في الخطاطة الآتية\*:



<sup>1</sup> - ينظر: نبيل محمد الصغير، تحديد مفهوم العلمية في ظل التجريد اللساني، مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد: 25، فيفري 2011، ص48.

<sup>2</sup> - ينظر: حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005 ص 127.

<sup>3</sup> ينظر: جون لانشو أستن، القول من حيث هو فعل، نظرية أفعال الكلام، ترجمة: محمد يحياتن، ط2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2010، من ص9 إلى ص17.

\* استقينا هذه الخطاطة من قراءتنا للمحاضرات الستة الأولى من كتاب أوستين المذكور آنفاً.

ومن ثم، فالفعل الكلامي ينقسم إلى فعل إنجازي (acte Performatif) وهو الذي "لا يمكننا أن نصفه بالصدق أو الكذب، إذ إن ما يمكن أن نقوله هو أن هذه الأقوال قد تتجح أو قد تخفق، أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أو لا"<sup>4</sup>، ومثال هذا الفعل، ملفوظ: أنجز عملك (بصيغة الأمر). أما الفعل الوصفي /التقريبي (acte Constatif) فيمكن أن يكون ملفوظا كاذبا أو صادقا<sup>5</sup>، ومثال هذا النوع : الشمس مشرقة على كل البلاد. وقد حاول أوستين أن يجد معايير تفصل بين الأفعال التقديرية والإنجازية، فتحدث عن الصيغة النحوية و المعجمية ، وعن قائمة تصنيفية ...، لكنه لم يفلح في هذا بسبب تدخل عامل السياق التواصلي في زحزحة هذه المعايير . ومن ثم، انصرف إلى البحث في الأفعال الإنجازية، لأنه رأى في كل الأفعال، أيا كانت، إنجازية بطريقة أو بأخرى، فقسمها كما هي مرسومة في الخطة التالية:

#### الفعل الإنجازية\*\*:

فعل القول (acte locutoire)

الفعل المتضمن في القول (acte illocutoire)

الفعل التأثيري (acte perlocutoire)

ففعل القول ينتج عن مجرد النطق بمجموعة من الأصوات مترابطة من الناحية الصرفية والنحوية، أما الفعل المتضمن في القول، فهو الفعل المتحقق والمتضمن عند النطق بملفوظ معين، فيما يتعلق الفعل التأثيري العمل الناتج لدى المتلقي للقول. بعد هذه الفلزكة الموجزة عن طرح أوستين، سنحاول الكشف عن مدى استفادة هابرماس مما قلناه في كل هذه التصنيفات والأطروحات الأوستينية.

إن أهم نقطة استفاد منها هابرماس هي تلك الفكرة القائلة بأن كل قول هو عبارة عن فعل<sup>+</sup>، ومن ثم، يتم الانتقال بصفة طبيعية إلى النقد السياسي على المستوى اللغوي / الخطابي بدل نقد الأعمال والتصرفات السياسية في الواقع الحقيقي، فالتركيز يجب أن يتم حسب هابرماس على النقد الأيديولوجي والسياسي عبر خطابه الحامل له باعتباره تجسيدا له بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، فعلى الباحث أن يستفيد من التداولية في تحليل الخطابات السياسية من أجل الكشف عن خباياها وأسرارها قبل أن تصبح أفعالا حقيقة على أرض الواقع (الكشف عن الظلم والقهر والخبث في خطاب الأحزاب والمنظمات السياسية قبل أن تصل إلى الحكم فتتجسد تلك الأقوال على الميدان. يقول أودينة سليم في هذا الصدد: "إن التركيز على البحث في مختلف الخطابات وبنائها الفكري المبعوث فيها وإسكانه معاني ودلالات تلك الخطابات، جعل تصور العالم مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتصور اللغوي له، وبذلك احتل مبحث التواصل (philosophie de le communication) قصب السبق في البحث الفلسفي<sup>6</sup>

تظهر هذه الفكرة جليلة في فهم حسن مصدق لمفهوم العمل لدى هابرماس في قوله: "يفهم هابوماس العمل كـ "نشاط عقلائي موجّه لهدف وغاية، و هو ينقسم بدوره إلى نوعين: فعل أداتي (agir instrumental) يخضع لقواعد تقانية (technicité) وإختيار عقلائي (choix ractionnel) ينتظم وفقا لاستراتيجيات قائمة على معرفة تحليلية"<sup>7</sup>، فالفعل قبل أن يتم تجسيده على أرض الواقع يتم تشكيله ضمن منظومة عقلية وذهنية يتم نقلها إلى الواقع الفعلي عبر اللغة التي كانت على الدوام وسيطا رمزيا لنقل الأفكار<sup>8</sup>.

<sup>4</sup> ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد بجاتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص22.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

\*\* استقينا هذه الخطاطة من قراءتنا للمحاضرات الستة الأخيرة من كتاب أوستين المذكور آنفا.

<sup>+</sup> في حقيقة الأمر، إن هذه الفكرة ترجع إلى الفيلسوف التحليلي فيغنشتاين الذي أقر في نظرية الألعاب اللغوية ن كل قول أو ملفوظ يقوم به هو في الحقيقة فعل نجسده ونحققه، كما أكد كذلك على وجوب وصف استعمال اللغة استعمالا واقعيا، ينظر: جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ط1، ترجمة وتقديم: عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 2001، ص ص25،26.

<sup>6</sup> - ينظر: أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، مذكرة ماجستير في الفلسفة، إشراف: لخضر مذبوح، جامعة منتوري، السنة الجامعية 2008 / 2009، ص 6 - 7.

<sup>7</sup> - حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ص 111.

<sup>8</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 114.

نقطة أخرى نجدها لدى هابرماس، وفي الوقت نفسه، نعثر عليها لدى أوستين، وهي إشكالية المعيار، وقد تجلت عند هابرماس بدرجة كبيرة رغبة في تأسيس تطلع معياري ( *attente normative* ) من خلاله، تصبح المعايير صيغا لانتقاء السلوكيات وتقنينها وضبطها بغرض الحد من الاحتمالية والتعقيد اللذين يطبعان العالم المعاصر<sup>9</sup>، فهابرماس يرى استحالة فرض تطبيقات أو تأويلات وحيدة على جميع أفراد المجتمع في مجتمع الحداثة الذين أصبحت الوسيلة التقنية متحركة في تصرفاتهم. يقول هابرماس: "لا تستطيع الحداثة أن تستعير المعايير التي تسترشد بها من عصر غابر، مثلما أنها لا ترغب في ذلك، فهي تكابد ملزمة لتستخرج معياريتها من ذاتها، ولا يمكن لها أن تعتمد إلا على نفسها"<sup>10</sup> ومن ثم، فوظيفة التداولية هي الوصول إلى تحقيق تواصل أفضل في ظل فشل أطروحات الحداثة في تحقيقه، فالمعيارية التي تتبلور صيغها في إطار العقلانية هي الكفيلة بوأد الهوية السحيقة التي تفصل بين عالمنا والأنساق<sup>11</sup>. ولكن عن أي معيارية يتحدث هابرماس؟

إن هابرماس لا يتحدث المعيار النصي كما فعل أوستين في بعض تصنيفاته، وإنما يركز على المعيار التداولي الاجتماعي، فإذا كنا نستطيع اعتبار العملية التواصلية مقرونة بالحاج، فإنه يأتي من أجل التفاهم والإصلاح، لا من أجل إلغاء الآخر، ومن ثم، فالتفاهم الهابرماسي مقرون، تبعا لهذا، ومحصور بإرساء القواعد المعيارية التداولية لا النصية، وبالتالي يتم النشاط المنظم بواسطة المعايير التي تعبر عن اتفاق حاصل بين الأفراد المشاركين والفاعلين<sup>12</sup>، الذين يصنعون المعنى وكيفونه بالنظر إلى السياقات ومختلف الظروف التي يديرون الكلام فيها.

إن هذا التركيز على المعيار اللغوي في التفاعلات الاجتماعية جاء كردة فعل على الاتجاهات ما بعد حداثة التي ثارت على كل المعايير و القيم الاجتماعية.

أما التقسيمات الثلاث للفعل الإنجازي، فقد استقاد منها هابرماس عن طريق عكسها، وهذا ما لاحظته الباحثة علي عبود المحمداوي في كتابه الإشكالية السياسية للحداثة. يقول أولفيه كايلا في هذه النقطة: "إن الآثار الإيجابية ( الفعل التأثيري ) مثلها مثل نجاحات الأفعال الغائية بصفة عامة، حالات في العالم يجرها تدخل في العالم ( الأفعال الاستراتيجية ) أما نجاحات المعاني التعبيرية ( قوة فعل الكلام ) فيتم الحصول عليها بالمقابل عند مستوى العلاقات بين الأشخاص ، حيث تتفاهم أطراف مشاركة في تواصل ما، بشكل متبادل على شيء ما في العالم .... وعلاوة على ذلك، فإن آثار المعاني التعبيرية تصبح داخل العالم المعاش الذي تنتمي إليه الأطراف المشاركة في التواصل، والذي يشكل الخلفية الأساسية لقضية تفاهمهم"<sup>13</sup>.، ومن ثم، فالتركيز يجب أن يصب على الأفعال المتضمنة في الأقوال لا على الأفعال التأثيرية التي تتشكل لدى المتلقي، و التي كثيرا ما تنزاح عن قصد المنتج، فيحدث خلل في العملية التواصلية يؤدي إلى غياب التفاهم بين الذوات.

يقول المحمداوي في تمييزه بين الطرحين: "يجد هابرماس في القول الإيجابي التأثيري ( لازم فعل الكلام )، ذلك البعد الذي يجب إغائه، لغرض تحقيق التواصل بشكل أفضل وأسلم، وهكذا يبقى المعنى التعبير الناتج عن الفعل التعبيري ( أي قوة فعل الكلام الناتج عن فعل الكلام ) و الخالي من كل فعل إيجابي، و الذي لا يتوجه نحو غاية معينة غير الاتفاق و التفاهم"<sup>14</sup>.

في الحقيقة، يعود رفض هابرماس للفعل التأثيري لعدم القدرة على التعويل عليه، في إقامة تواصل حقيقي في نقل المعاني بطريقة مضبوطة نسبيا كون هذا الفعل مرتبطا بطريقة كلية بالمتلقي، فهو الذي يسهم في فهم وتشكيل كليته، ومن ثم، قد يفهم المتلقي معنا تأثيريا

<sup>9</sup> ينظر: المرجع نفسه ، ص112.

<sup>10</sup> - نقلا عن : حسن مصدق، ص 111 . J.Habermas .Le discours philosophique de la modernité ,Paris ,Gallimard ,p 8.

<sup>11</sup> - المرجع نفسه، ص 110.

<sup>12</sup> - voir : Jurgen Habermas, logique de science, logique de science, traduit par : Rainer rochlitz, edition puf, paris, 2005 p 421.

<sup>13</sup> أولفيه كايلا، ملائكية نظرية الحق البهنة لدى هابرماس ، مجلة القانون العام وعلم السياسة ، العدد 6، ص1399، نقلا عن: علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، هافر س أمودجدا، الدار العربية للعلوم شرون ، منشورات ، دار الأمان، لبنان، الجزائر، الر ط، ص214.

<sup>14</sup> علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص215.

ليس هو القصد الحقيقي للفعل المتضمن في القول الذي شكله المنتج، ما يؤدي في غالب الأحيان إلى إفساد حالة التواصل<sup>15</sup>، فعلى سبيل المثال، إن قول رب العمل لعامل يشتغل لديه: (اذهب إلى عملك) يحتوي من ناحية القول المتضمن في القول دعوة إلى العمل، بينما قد يحتوي من منظور الفعل التأثيري إخراجا، ومن ثم يجب أخذ الأقوال حسب هابرماس باعتبارها أفعالا متضمنة في الأقوال لا أفعالا تأثيرية، هذا كله "بغية صنع مجتمع كلام مثالي"<sup>16</sup> يتم في التواصل بين الأفراد بطريقة طبيعية خالية من أي تشويش.

## 2- بين هابرماس وسيرل:

يعد سيرل تلميذ أوستين، وقد حاول أن يقتني دربه في نظرية أفعال الكلام فطورها وأعطاهها تقسيما ثنائيا يختلف عن تقسيم أستاذه إلى حد معين، هذان التقسيمان، هما:

1/2- الفعل المباشر : وهو الفعل الذي يفهم من خلال الدلالة الحرفية للملفوظ .

2/2- الفعل غير المباشر: وهو الفعل الذي يفهم من خلال الدلالة غير الحرفية للملفوظ.

ومن ثم، فقد جعل سيرل إنجاز الفعل الكلامي يمر عبر أربعة مراحل أساسية، لا ثلاثة، كما عدّها أوستين في طرحه لنظرية أفعال الكلام، هي<sup>17</sup>:

- |                |                         |
|----------------|-------------------------|
| 1- فعل القول   | ( acte d'énonciation )  |
| 2- فعل الإسناد | ( acte propositionnel ) |
| 3- فعل الإنشاء | ( acte performatif )    |
| 4- فعل التأثير | ( acte perlocutif )     |

ففعل القول هو أن يتلفظ الإنسان بكلمات وبنى صرفية وجمل، أما فعل الإسناد، فهو الذي يسمح بربط الصلة بين المتكلم (1) و المتكلم (2)، أما الفعل الإنشائي، فهو تحقيق القصد من القول وتنفيذه، في حين يُعرف فعل التأثير كما هو لدى أوستين؛ أي أنه ذلك الأثر النفسي الذي ينتج لدى المتلقي<sup>18</sup>، فالملاحظ في هذا التصنيف هو إضافة سيرل للفعل الإسنادي.

وقد ارتكزت أبحاث سيرل في معظمها على سؤال مركزي هو: كيف يتم المرور من الدلالة الحرفية للملفوظ إلى الدلالة غير الحرفية أي الاستلزامية؟<sup>19</sup>

وقد رأى أن فهم الدلالة أو القصد الاستلزامي منوط بشرطين أساسيين، هما<sup>20</sup>:

1- معرفية الخلفية الفكرية والمعرفية والثقافية للمتخاطبين.

2- المرور حوالي عشر عمليات استدلالية ومنطقية لدى المتلقي.

إن البحث عن مدى استقادة هابرماس من الطرح المنهجي الدقيق الذي أتى به سيرل أمر لا مناص منه إذا أردنا أن نفهم خلفيات الطرح الهابرماسي للنظرية التداولية وكيفية تحيينها وتوظيفها في مشروعه الفلسفي، ولعل أهم ميزة في مشروع سيرل استرعت اهتمام هابرماس، هو ذلك السعي من قبل سيرل إلى التمييز بين الأفعال المتضمنة في القول والأفعال التأثيرية، وفي هذه النقطة بالتحديد انتبه منصور مصطفي إلى أن الأفعال المتضمنة في الأقوال قصدية<sup>21</sup>، ففي حالة ما إذا أنت لم تقصد أن تعطي وعدا وأن تصدر حكما، إذا فأنت لم تطلق حكما، إلا أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصدا بالضرورة، فقد تقنع شخصا بشيء معين دون أن تقصد ذلك<sup>22</sup>، وهذه النقطة بالذات نجدها مستمرة بقوة في حديث هابرماس عن العلاقة التي تربط الذوات في تعاملاتها في مجال الحياة الاجتماعية والسياسية، فلا يجب حسبه تأويل الأفعال المتضمنة في الأقوال بطريقة سيئة،

<sup>15</sup> voir : Jurgen Habermas, logique de science..., p 123, 124.

<sup>16</sup> علي عبود الحمدادي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ص 215.

<sup>17</sup> Voir : J.R.Searle, sens et expression, études de theorie des actes du langage, traduit par : Joëlle proust, les édition de minut, paris, 1982, p p 12 -45

<sup>18</sup> ينظر: الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24,25,26.

<sup>19</sup> Voir : J.R.Searle, sens et expression, études de theorie des actes du langage, p 71.

<sup>20</sup> Voir : ibid, p 72,73.

<sup>21</sup> - ينظر: منصور مصطفي، نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخيلي بين سيرل وجنت، مجلة الأثر، ص 45. من موقع: <http://www.ouargla.univ.dz/pagesweb/PressUniversitaire/doc/06%20El%20Athar/TSP0203/TSP0204.pdf>

<sup>22</sup> Jurgen habermas, Théorie de l'agir communicationnel: Rationalité de l'agir et rationalisation de la société, édition fayard, 1987, p 30, 31.

إذ قد ينتج عن عملية سيئة أفعال تأثيرية لدى المتلقي تؤثر على سيرورة العملية التذاتية<sup>23</sup>، كما لا يجب الأخذ بالأفعال التأثيرية للأسباب نفسها التي رفضها لدى أوستين.

كذلك، استرعى انتباه هابرماس تقنيات تمييز سيرل بين الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر، وكيفية إقامة العمليات الاستدلالية العقلية من أجل الكشف عن طبيعة القصد المستلزم من وراء الدلالة الحرفية للخطاب<sup>24</sup>.

استغل هابرماس القواعد التكوينية التي تحدث عنها سيرل واعتبرها بمثابة القواعد المسيرة للألعاب ككرة القدم، فهذه اللغة بدون القواعد التكوينية<sup>25</sup> التي تكونه لن يكون لها وجود<sup>25</sup>، وبهذه الطريقة نفسها يستعين هابرماس بمفهوم الفعل التواصل، ليؤكد على ضرورة وجود أنماط معيارية تداولية تسهل عملية التواصل بين الذات، التي هي أساسا تنتمي إلى مجتمعات متعددة أو مجتمع واحد.

يصف سيرل هذه النقطة ومدى قدرتها على تسهيل الفعل التواصل بين الذات في قوله: "إذا كان تكلم لغة يعني إنجاز أفعال طبقا لقواعد، فإن تحقيق فعل إنجاري يكون راجع إلى تلفظ جملة تتبع الاتفاق والإصلاح يختلف حسب اللغات الخاصة، بينما القواعد التكوينية لأي فعل كلامي، فإنها عامة على جميع اللغات، إن الاتفاق والإصلاح هو الذي يعرف دلالة الجملة، واحترام القواعد التكوينية هي التي تسمح بإنجاز وإتمام أي فعل إنجاري"<sup>26</sup>، فإقامة أي تواصل اجتماعي وثقافي بين الذات من منظور هابرماسي يقتضي حفاظا على هذه القواعد التكوينية والسهر على تحقيقها على المستوى العملي وعدم الاكتفاء بها نظريا<sup>27</sup>.

يقدم الجليلي دلاش من خلال هذا الجدول تقسيما مقارنا للأفعال الكلامية عند كل من هابرماس وسيرل<sup>28</sup>. ويعلق تحته، أي في الهامش، على هذا الجدول معللا هذا التقسيم، فيقول: "يستند تقسيم سيرل إلى المعيار التالي: العالقة بين الكلمة والعالم وهناك معياران إضافيان ثانويان: القصد الإنجاري والحالة النفسية، أما هابرماس فإنه يعتمد على معايير فلسفية<sup>29</sup>، لكنه لم يحدد ماهية هذه المعايير الفلسفية التي استند عليها هابرماس في تقسيمه هذا.

| هابرماس                                          | سيرل                                                                        |
|--------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------|
| التبليغة: قال، تكلم، رد، سجل، اعترف              | الممثلة: توقع، ترقب، لاحظ، وصف                                              |
| التقريرية: أكد، أنكر، شك، أعلم، شرح              | الموجهة: أمر، نصح، التمس، ذكر                                               |
| الممثلة: علم، فكر، أمل، أخفى، حجب، سكت           | أفعال الوعد: وعد، حذر، رهن، ضمن، أبرم                                       |
| الضابطة: أمر، رجا، رفض، وعد، عفا، نصح            | التعبيرية: شكر، هنأ، اعتذر، رغب                                             |
| المقولات التداولية: سلم، شكر، هنأ، رهن، تزوج خطب | الخبرية: عين، استسلم، أعلن، الحرب، طرد، و طرد بالمفهوم الديني (excommunier) |

يعتبر علي عبود المحمداوي "الفعل الكلامي فعلا قد يتضمن الأدلجة أو الهيمنة، لذلك فإن نقد هابرماس يطوله بمعنية نقد الفعل الإيحائي لأوستين، وذلك لغرض كشف هذا الزيف وتلك الأدلجة والهيمنة، ولتخليص الفعل الكلامي منها، وتجريده، لإيصاله للحالة المثالية، وبذلك فهو يشطب تصنيفات أوستين وسيرل للأفعال الكلامية المتعلقة بالهيمنة، ويعود إلى قصيدة شغافة وتأثيرات هادفة للفهم بغية الوصول إلى تواصل حر وصحيح"<sup>30</sup>، فلا يجب أن ينحصر القصد لدى المتكلم كما فعل أوستين، ولا أن يبقى تحت نير المتلقي كما فعل سيرل، وإنما يجب أن يحدث في إطار يتصف بالحرية والمساواة بين المنتج والمتلقي في نسبة الاستدلال ومراعاة مقتضى الحال.

### 3- بين هابرماس و غرايس:

<sup>23</sup> Voir : ibid, p 33,34,35.

<sup>24</sup> Voir : ibid, p 39, 46

<sup>25</sup> هذه القواعد التكوينية التي تحدث عنها سيرل، هي : 1- القاعدة التمهيدية : وهي أن العمل ج مفيد، 2- قاعدة المحتوى الإسنادي: وهي أن الشخص ب قدم عمل ل للشخص ج، 3- قاعدة الصراحة: وهي أن الشخص ج اعترف بحميل الشخص ب، 4- القاعدة الأساسية وهو ج عبر عن امتنانه للشخص ب. voir : J.R.Searle, sens et expression, études de theorie des actes du langage, p80, 85.

<sup>25</sup> - Jaque Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, éditions de seuil, paris, 1994, p66

<sup>26</sup> -Ibid, P66.

<sup>27</sup> سنتحدث فيما ياتي عن قواعد الفعل التواصل وعن الشروط والقواعد التكوينية اللازمة لضمان تحقيقه.

<sup>28</sup> : الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 27.

<sup>29</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص56.

<sup>30</sup> علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدث، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص 216.

ارتكز غرايس في أعماله وأبحاثه بدرجة كبيرة على امكانية لم ينصفهما المنظرون والباحثون في مجال التداوليات قبله، وهما: القدرة على اكتساب حالات ذهنية، والقدرة على نسبتها إلى الآخرين وبين غرايس، كما سنرى، أن القدرة على تأويل الأقوال بكيفية تامة ومُرضية رهن بهاتين القدرتين وخصوصا القدرة الثانية<sup>31</sup>، فالقدرة على اكتساب حالات ذهنية هي قدرة على الاشتغال منطقيا عند جميع الناس، في حين القدرة الثانية هي المقدرة على الاشتغال المنطقي مع الآخرين أثناء العملية التواصلية.

لعل أهم ثنائيتين اشتهر بهما غرايس هما:

1- مبدأ التعاون

2- مبدأ الاستلزام التخاطبي (الحواري)

أما المبدأ الأول فالمقصود من خلاله أن "يساهم المشاركون، في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتفسير تأويل الأقوال"<sup>32</sup>، فعلى المتكلم ألا يلغز في أقواله وعلى المتلقي أن يحسن عمليا الاستدلال المنطقية حتى يصل إلى القصد الهدف. ولكي يتحقق مبدأ التعاون على أحسن طريقة ومنوال قدّم غرايس أربع طرائق أو قاعدة تساعد على تحقيقه، وهي<sup>33</sup>:

1- قاعدة الكم: وهي أن تكون كمية المعلومات ملائمة ومناسبة للمقام التواصلية.

2- قاعدة النوع: وهي التي تعرض نزاهة القائل وصدقه فلا ينبغي أن يكذب أو أن يجامل، وعليه، كذلك أن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يقول به.

3- قاعدة العلاقة (المناسبة): تفرض أن يكون حديثنا داخل الموضوع؛ أي ذا علاقة بأقوال القائل السابقة والأقوال اللاحقة، إذ لا يعقل أن يحدث التعاون في حالة ما إذا كان متكلم ج يحدث ب في موضوع السياسية فيرد عليه المتكلم (الذي كان متلقيا) بموضوع في علم الأحياء أو في الرياضة على سبيل المثال لا الحصر.

4- قاعدة الكيف: وهي تعني أن نعبر بوضوح وبلا لبس قدر الإمكان وأن نقد العلوم بطريقة منطقية طبيعية، فتستحسن العبارات المباشرة على العبارات والملفوظات غير المباشرة.

أما المبدأ الثاني، أي مبدأ الاستلزام التخاطبي / الحواري، فهي طريقة محادثائية (غير تواضعية) إي تستدعي استلزاما حواريا يتم الوصول إليه عبر عمليات استدلال عقلية، ويقدم صاحب كتاب التداولية مثال توضيحيا هو: (جون إنجليزي ... إنه شجاع) فالشجاعة ارتبطت بجون لأن إنجليزي ومن ثم العملية الاستدلالية أدركت شجاعة جون لكونه إنجليزيا، هذا الاستلزام التخاطبي عكس الاستلزام الوضعي الذي يحيلنا مباشرة إلى القصد كما في هذا المثال (جون إنجليزي ... إذن هو شجاع)<sup>34</sup>

أما عن تأثير نظرية غرايس في أطروحة هابرماس، فيرى الباحث أودينة سليم أن هابرماس طوّر نظريته استنادا إلى مضامين أفكار التداولية التحوارية (المحادثة) لبول غرايس، ولعل هذا التأثير يظهر في إصرار هابرماس على معرفة الخلفيات الفكرية للمتخاطبين فيما بينهم حتى يتم التواصل بكيفية سليمة<sup>35</sup>. فاللغة لا تتشكل إلا من خلال التفاعل بين الذات الخاضعة لمعرفيات وخلفيات واضحة قادرة على الاستدلال بطريقة سليمة، فمن خلال الحديث بين المشاركين في التفاعل الذي يربطهم بالعالم المعيش وبالذوات الأخرى وبالمقاصد والرغبات والمشاعر يقوم كيان اللغة، ومن هذا الجانب تتجلى علاقة نظرية الفعل الكلامي بنظرية الفعل التواصلية<sup>36</sup>.

كذلك، تظهر ملامح تشابه في الكثير من المبادئ التي سردناها توا مع التي قدمها هابرماس، لعل أهمها هو تأكيد هابرماس على ضرورة الالتزام بالعقلانية فيجب أن تكون القضية المعبر عنها لغويا في معناها التداولي خاضعة لقوانين العقل وأحكامه المنطقية<sup>37</sup>، "فلا

<sup>31</sup> آن روبول وحاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ط 1، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1998، ص 52.

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص 55.

<sup>33</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 55، 56.

<sup>34</sup> المرجع نفسه، ص 56، 57.

<sup>35</sup> - voir : Théorie de l'agir communicationnelle, p 36-73.

<sup>36</sup> - ينظر: أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، ص 35.

<sup>37</sup> ينظر: العنصر التالي فيه هذه القواعد التي قدمها هابرماس كشروط لنجاح الفعل التواصلية.

تفترق هذه العقلانية لديه عن اللغة التي تضمن تقدم المجتمع الإنساني<sup>37</sup>، كذلك نجد أن قاعدة النوع التي تحدث عنها سيرل تتطابق كلياً مع قاعدة الصدق التي تحدث عنها هابرماس، والتي في مضمونها، ألا نشك في الذوات التي نتحاور معها. هناك أيضاً تشابه بين قاعدة الكيف لدى غرايس وبين تأكيد هابرماس على أهمية الفعل المتضمن في القول المباشر الصريح لأنه لا يوقع في اللبس في أغلب الأحيان.

أما مبدأ الاستلزام التخاطبي الخاضع أساساً لعمليات استدلالية ومنطقية فقد رأى فيه ظاهرة جوهرية في التفاعل اللغوي، ومن دون هذه القدرة التي يعول الباث، ضمن غيرها من المواضع الخطابية، يصبح أي تواصل مستحيلًا<sup>38</sup>. هذا المبدأ الذي يعول عليه المتلقي كذلك في فك شفرات الخطاب الذي يتلقاه، وقد استفاد من هذه النقطة سيرل كما قلنا آنفاً.

### قراءة في نظرية الفعل التواصلي:

إن تصحيح الحادثة الغربية التي اتهمها هابرماس بالموت والفناء بسبب عدم تحقيقها للأهداف التي وُجدت من أجلها، اقتضى، حسب هابرماس إعادة إحيائها، ومن ثم، بعثها من جديد عبر التركيز على الجانب التواصلي داخل البنية النسقية الاجتماعية التي تميزت في ما سبق بالنزعة المعيارية الشاؤمية التي تجعل من الإنسان مجرد أداة أو وسيلة تخدم المسار التكنولوجي، الذي قتل ذاتية الإنسان، وبالتالي قتل تواصل الذوات فيما بينها، على الرغم مما حققته المعلوماتية من نجاح مبهر، فبعد "تراجع دور الممكنات التقليدية والعادات في شد أو أصر المجتمع المعاصر وتماسكه، حُولت للمعايير وظيفة الحفاظ على النسيج الاجتماعي متماسكاً..... بعد أن فقد الدين والتقاليد والميتافيزيقيا سلطتها في توجيه حياة الإنسان كلياً"<sup>39</sup>.

فما زاد من ضرورة وجوب التركيز على جانب التواصل في عالمنا هذا، حسب هابرماس، هو مشروعية تحقق ما قال به شارل ماكولوهان، الذي تنبأ أن هذا العالم يصبح مثل قرية صغيرة بفضل التركيز على المعلوماتية، لكنه يخلو من التواصل والفهم المتبادل بين الذوات للخطاب بجميع أنواعه<sup>40</sup>، هذا كله بسبب العقلية الأداة التي طبعت فلسفة الحادثة، لذا فإن أهم مخرج من هذا الوضع التركيز على اللغة أو الخطاب بمفهومه الضروري أصبح أكثر من ضروري في عالمنا المعاصر، وهذا أهم ما كان يصدق به مشروع هابرماس الفلسفي.

في حقيقة هذا التوجه الذي يعنى بالخطاب نجد أن هذا المستوى الخطابي التداولي حُيّن بطريقة عملية عند هابرماس، وهو في الأساس قد تأثر بلفيندج فدنشتين، الذي دعا الفلسفة لأن تكف عن الاهتمام بالمضامين الفلسفية النظرية، بل عليها أن تهتم باللغة التي تعالج بها قضاياها، أي أن تتخل عن بناء الصروح الفكرية الضخمة والبناءات الفلسفية المغلقة، وأن تقوم فقط بتحليل القضايا اللغوية، وبذلك تحليل بنية الفكر<sup>41</sup>. المحمول في قوالب لغوية شكلية.

ومن ثم، أخذ هابرماس على عاتقه إعادة بناء العالم رمزيًا، لكن مقرونا بإنتاجه المادي ومؤسسا على التفاهم التداوتي الذي يقوم على مبدأ المحاجة العادلة، وهنا بالتحديد يكمن الاتجاه التحرري الذي يطبع فلسفة التواصل الهابرماسية<sup>42</sup>، بشقها التداولي والنقدي في الوقت نفسه، فهي فلسفة تهتم في الأساس بصورته العقل ضمن الخطابات التي تحمله وبالتالي فضبط الخطاب يحمي الذوات من العنف<sup>43</sup>. أما البعد التداولي فيظهر جليا في النشاط التواصلي بين البشر، إذ هو ليس مجرد فعل تتوجه به ذات معزولة، ولكن هو مناقشة وحوار، يتم بين ذاتين فاعلين، وذوات فاعلة مختلفة<sup>44</sup>.

<sup>37</sup> فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء العربي، الرط، 1986، رينخ إتهاء تحرير الكتاب، ص 82.

<sup>38</sup> ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2007، ص 154.

<sup>39</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 111.

<sup>40</sup> - ينظر: أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، ص 5.

<sup>41</sup> - المرجع نفسه، ص 6.

<sup>42</sup> - ينظر: أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، ص 11.

<sup>43</sup> - voir : Théorie de l'agir communicationnel, Habermas, p 33- 34- 35. تر: ط 1، ص 33- 34- 35.

حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، 2003، ص 14.

<sup>44</sup> - المرجع نفسه، ص 37.

يصف الزواوي بغورة نظرية هابرماس في اللغة ؛ نظرية الفعل التواصلي بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية باستناده إلى منجزات فلسفة اللغة، ذلك أنه يرى أن اللغة تمكننا من إحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والفعل والممارسة<sup>45</sup>. وهذا هو ما أكد هابرماس تحديدا في قوله : " جاءت نظرية الفعل التواصلي لتحديث تحولاً كبيراً بمثابة ثورة، إذا تم الانتقال من الاهتمام بين الذات والموضوعات إلى التفرغ بقضايا التواصل والتفاهم السليم بين الذات البشرية هذا كله من أجل هدم فلسفات الذات والوعي المتمركزة حول العقل الذي لا يعترف بالجانب العلمي. يقول في هذا الصدد منتقدا فلسفة الوعي الذاتي: " ما أنهلك هو نموذج فلسفة الوعي، ولئن كان الأمر كذلك، فإن لابد أن تختفي أعراض الانتهاك فعلا، بالانتقال إلى نموذج التفاهم البناء"<sup>46</sup> ، وهنا يجب التمييز بحذر بين فلسفة الذات و بين فلسفة العقل التي دعا إليها هابرماس، إذ تتمحور الأولى على مستوى ذات واحدة بمعزل عن الذات الأخرى، فيما ترتبط فلسفة العقل بكل الذات مهما كانت.

حسب كمال بومنيز، يقصد هابرماس بالفعل التواصلي ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز، وإنه يخضع ضرورة للمعايير المعمول بها، والتي تحدّد تطلعات السلوكيات المتبادلة، بحيث يتعين أن تكون مفهومة ومعترفا بها من طرف شخصين فاعلين على الأقل<sup>47</sup>، وهنا تتحقق التواصلية البيّناتية في أقل درجاتها ومستوياتها داخل المنظومة الكونية . ومن ثم، إنّ هذا الحوار الديمقراطي بين الذات هو في أساسه ووظيفته محاولة لتجسيد الواقع عبر خطاباته، ومحاولة التخلص من حالاته المرضية التي تصيب المجتمع لحظة تاريخية معينة ولتحقيق الاندماج الاجتماعي لأعضائه من دون عنف أو تطرف قصد الوصول إلى حقائق متوافق بشأنها<sup>48</sup>. نظرا لكل ما تحدثنا عنه، كان لزاما على هابرماس أن يصيغ المبادئ والآليات التي تشغل وفقها نظرية الفعل التواصلي ، وقد حصره فيما يأتي: <sup>49</sup> :

1. لا ضغط و لا إكراه على الآخر المتلقي.
  2. لا يجوز تقييم مختلف آراء المتلقي.
  3. الاكتفاء بعرض الآراء و الأفكار .
  4. عدم التعرض لمصادقية الآخر .
  5. الحوار هو المحدد لصحة ومصادقية القضايا
  6. استغلال المنظور التداولي ومراعاة قواعد المعقولية و الصدق والدقة و المحاجة النائية عن كل قهر وسلطة زائفة.
- يمكن أن نقدم الخصائص العامة للعملية التواصلية الخاضعة للمبادئ التداولية الموصلة إلى توافق وإجماع بين الذات فيما يأتي:
1. وجود تلك العلاقة التفاعلية بين الفردين أو أكثر خلال سياق العالم المعيش فمن حق كل شخص ملك خاصية اللغة أن يشارك ضمن النشاط التواصلي.
  2. وجود اللغة حاملة ورافدة لتطلعات الذات.
  3. هدف التواصل هو الوصول إلى اتفاق وليس مجرد إقامة تواصل.
  4. فتح مجال الحوار بكل ديموقراطية .
  5. وجود الظروف التي تضمن الإجماع .
  6. التحرر من كل أشكال الضغط والقهر الخارجي .

<sup>45</sup> - ينظر: الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 209.

<sup>46</sup> - يورغان هابرماس، القول الفلسفي للحدث: تر: فاطمة الجيوشي، د. ط ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 454.

<sup>47</sup> - Jürgen Habermas , la science et la technique comme idéologie , traduit : Jean René , L'Admiral édition Gallimard , Paris , 1973.p 22.

<sup>48</sup> كمال بومنيز ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت ، الدار العربية للناشرين، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، الجزائر 2010، ص119.

<sup>49</sup> --voir :Jürgen Habermas , la science et la technique comme idéologie , p 40,63.

نتيجة لكل المراجعات التي قدمها هابرماس للطرح الأوستيني والسيرلي كان من المحتم على هابرماس أن يقدم تصنيفا جديدا للفعل التواصلية من أجل تشكيل منهج ونظرية في السياسة الاجتماعية وعلم الاجتماع السياسي تقوم أساسا على ضمان تحقق وسلامة العلاقة الموجودة بين الفاعل والعالم<sup>50</sup> فالعلاقة التي تحكم الفاعل والعلم هي العلاقة التواصلية البناءة المؤطرة بين الذات، لذلك يفهم هابرماس الفعل التواصلية على أنه، علاوة على كونه تفاعل بناء بين فضاءين، هو تحقيق لمشروع عملي مؤسس على تأويل معين للوضعية (situation)، إذ يتحقق ذلك بتحكم الفاعل في وضعية معينة، ووضعية الفاعل تشكل جزءا من محيط الفاعل، وهذا الجزء يتكون في ضوء إمكانيات الفعل ذات الدلالة بالنسبة للمشروع العملي والمدرجة كذلك من قبل الفاعل<sup>51</sup>، نخلص من هذا القول أن ظروف الفعل وقواعده تؤثر في الفاعل وتتحكم في درجات نجاحه وفشله في تحقيقه الهدف التواصلية.

يقسم هابرماس الفعل التواصلية إلى أربعة أفعال أساسية، تتحكم في تسيير النظريات والفلسفات الاجتماعية:

1. **الفعل الغائي / المنفعي / البرغماتي:** (l'action téléologique) حيث يقوم الفاعل، من خلاله، باختيار مجموعة من الوسائل والأدوات التي تضمن له النجاح بغرض تحقيق مهمة أو غاية مخصوصة<sup>52</sup>، ومن ثم، يؤكد هابرماس على أن الفعل الغائي يتحول إلى فعل استراتيجي عندما يأخذ الفاعل بعين الاعتبار علاقات وقرارات الفاعلين الآخرين في قدرتهم التقييمية تجاهه<sup>53</sup>.

2. **الفعل المعياري:** (l'action normative) يرتبط هذا الفعل ويستند أساسا على الأعضاء الاجتماعيين الذين يسيرون تصرفات وتوجهات الفاعل وفق ما يفرضونه من نظم وقوانين وقواعد ناتجة أساسا على الاتفاق الحاصل بين أفراد جماعة ما على تحقيق تلك المعايير والحرص على الاشتغال وفقها بطريقة تامة<sup>54</sup>.

3. **الفعل المسرحي:** (l'action dramaturgique) يرى سليم أودينة أن هذا الفعل لا يتعلق بطريقة مباشرة بالفرد الفاعل ولا بالأعضاء الاجتماعيين وإنما بالمشاركين في عملية التفاعل التواصلية، ويقدم هابرماس توضيح عن طبيعة هذه العلاقة في كون الفاعل يكشف عن ذاتيته عندما يحتك بالجمهور وبإمكانية مراقبة الذين ينفذون إلى عالمه الخاص (الذاتي) حيث يشكل التفاعل مجالا للكشف عن الذات الأخرى<sup>55</sup>، وكأن الفضاء العمومي؛ أين تتم عملية التواصل والتفاعل بين الذات بمثابة مسرح يُحَيِّن للجمهور عبر الوصول إلى ذوات الفاعلين أي الممثلين المتجاورين.

4. **الفعل التواصلية:** (l'action communicative) يرتبط بتفاعل شخصين قادران على الكلام عبر ملكتهما اللغوية، وفي هذه الحالة إن "الفعل لا ينحصر في المستوى الاستراتيجي / النفعي المرتبط بالمحورة الذاتية للفاعل مع نفسه فواجب عليه أن يعيد إنتاج الفعل داخله وأن يوجه إلى ذاته نفس الملاحظات التي قد تُوجه إليه من قبل الذات الأخرى، فهذا الفعل في حقيقته تداخل بين الذات عبر تواصل لغوي<sup>56</sup>.

• إن صلاحية ونجاح الفعل التواصلية يقتضي توفر أربعة معايير أساسية هي<sup>57</sup>:

1. **المعقولة العقلانية / العقلانية:** وهي أن القضية المعبر عنها لغويا تكون في معناها التداولية خاضعة لقوانين العقل وأحكامه العامة.
2. **الحقيقة:** هي أن يتم الإقرار والاعتراف بحقيقة الملفوظ الناتج عن أفعال الكلام المتحدثين.

<sup>50</sup> - voir : Jurgen Habermas, la pensée postmétaphisique, essais philosophique, traduit par : Rainer Rochlits, Armond colin, Paris, 1993, p 41- 43.

<sup>51</sup> - voir : Ibid, p 41

<sup>52</sup> - يورغان هابرماس، العلاقة لعالم ومظاهر عقلانية الفعل، ص 23.

<sup>53</sup> - ينظر أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، ص 43.

<sup>54</sup> - يورغان هابرماس، العلاقة لعالم ومظاهر عقلانية الفعل، ص 23 - 24 .

<sup>55</sup> - voir : Jurgen Habermas, la pensée postmétaphisique, essais philosophique p 416 .

<sup>56</sup> - voir : ibid, p280 - 281.

<sup>57</sup> - يورغان هابرماس، العلاقة لعالم ومظاهر عقلانية الفعل، ص 23.

3. **الدقة المعيارية** : وهي أن نعترب بدقة المعيار أثناء استخدام الكلمات في شكل ملفوظات متفق حولها ضمن سياق معياري مصطلح عليه بواسطة فعل الكلام.

4. **الصدق** : يجب ألا نشك في صدق الذات المشاركة في التفاعل.

إن هدف هابرماس من كل هذا هو تقديم نموذج أخلاقي للتواصل الحجاجي السليم، الذي يحدث أساساً من خلال تواصل سليم " فتقديم حجج وجلب معايير أخلاقية تجعل أفكارنا تقبل في مناهذ مهمة، أي تكون هذه المعايير مهمة لكل الناس، فالحجج مقدمة نحو الآخرين عن طريق البراهين للاتفاق معا على هذه الادعاءات<sup>58</sup>، وقد حاول هابرماس الإغلاء من شأن الحجاج، ولا يسما القائم على أسلوب التأثير المتبادل بالحجة والحجة المضادة، والذي يتأسس لدى هابرماس على معايير قبلية ولغوية وتداولية في نوعها وطبيعتها وهي حسب المحمداوي تكمن في إيتيقا المناقشة والحجاج.<sup>59</sup>

إن طبيعة اللغة التي تنشط من خلالها العملية التواصلية والحجاجية هي اليومية العادية بالدرجة الأولى هذه اللغة التي يعرفها بكونها: تشكل نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير مُصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من عناصر اللغة، ومن ثم، إن الذات التي تقدر على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عملية التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عنها<sup>60</sup>، بسبب طبيعة اللغة اليومية، ونزيرتها وقدرتها على عمل عمليات استدلالية ومنطقية أكبر مما تحمل اللغة الأدبية على سبيل المثال.

#### خاتمة:

إن هابرماس ينطلق من خلفيات فلسفية متعددة غير التي ذكرناها ويمنح فكرة متابينة تباين الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية والفلسفة المثالية القارية، يجمع بين ميادين بحثية متميزة<sup>61</sup> وهذا خير دليل على سعة اطلاعه على الفلسفات المتعددة والمختلفة في كثير من جوانبها، إلا أنه أحسن استغلال هذه الخلفيات من أجل تشكيل نظرية تواصلية قائمة على جميع تلك الخلفيات نجحت إلى حد معين في تحقيق ثلاثة أهداف<sup>62</sup>:

- 1- تسهيل عملية التواصل، بحيث أصبحت اللغة أداة للتفاهم، لمختلف المستويات الدنيا و العليا، باستعمال المعنى التداولي.
- 2- تبرير أهمية انعطافه في تحيين النموذج التداولي في مجال السياسة، هذا التحيين الذي لم يخضه لا أوستين و لاسيرل.
- 3- إبراز شأن القدرة التواصلية في تأسيس مجتمع مثالي للتداول وأدوات مثالية للخطاب يتم عبرها الانتقال السلمي للسلطة الديمقراطية.

إن هذا المنعرج، في حقيقة الأمر، لم يكن له تأثير فقط على المستوى السياسي في الاتحاد الأوروبي وإنما ألهم العديد من الفلاسفة و المفكرين في أطروحاتهم الفكرية، ولعل أهم فيلسوف تأثر بالنموذج التداولي التواصل لهابرماس، هو أكسل هونيت Axel honneth الذي طور براديغم الاعتراف انطلاقاً من أبحاث هابرماس التداولية، وسيلابن حبيب Seyla Benhabib التي طورت نظيرتها النقدية في التعددية الثقافية، متأثرة إلى حد معين بطروحات هابرماس.

<sup>58</sup> - ينظر: أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، ص 48.

<sup>59</sup> - على عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدث، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص 218.

<sup>60</sup> - voir : Jurgen Habermas, logique de science, traduit, p 332.

<sup>61</sup> - أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، ص 9.

<sup>62</sup> ينظر: علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدث، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص 217.